صفاتُ مَن يُؤخَذ عنهم العلمُ والإيمانُ

وأثرُها في التَّحصينِ من دُعاةِ الفِكْرِ التَّغريبيِّ

"دراسةٌ وصفيَّةٌ تحليليّةٌ دعويّةٌ في ضوءِ آياتٍ من سورةِ البقرةِ (٤٠ - ٤٤)"

إعداد الدكتور

عبد الحميد حمدي أحمد الحصري

أستاذ الدَّعوةِ والثقافة الإسلاميَّة المُشارك

كليَّة الدِّراسات الإسلاميَّة بالجامعة الإسلاميَّة

بمنيسوتا، الولايات المتحدة الأمريكيَّة

صفاتُ مَن يُؤخَذ عنهم العلمُ والإيمانُ وأثرُها في التَّحصينِ من دُعاةِ الفِكْرِ التَّغريبيِّ

"دراسةٌ وصفيَّةٌ تحليليّةٌ دعويّةٌ في ضوءِ آياتٍ من سورةِ البقرةِ (٤٠ - ٤٤)"

عبد الحميد حمدي أحمد الحصري

قسم الدعوة والثقافة الإسلاميّة، كليّة الدراسات الإسلاميّة، الجامعة الإسلاميّة، بمنيسوتا، الولايات المتحدة الأمريكيّة.

البريد الإلكتروني: hamid.hosary@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الورقة العلمية إلى بيان وتحديد الصفات المميّزة لمن يؤخذ عنهم العلم والإيمان التي احتفى بها النص الشرعي، من خلال المنهج التحليلي الوصفي الدعوي لبضع آيات من سورة البقرة، وقد خلُصت إلى بعض النتائج منها: بيان وجه من أوجه كون القرآن فُرقانًا حيث فرّق الله فيه بين أهل العلم القائمين بالحق فبيّن صفاتهم ليؤخذ عنهم، وبين علماء السوء من أهل الباطل من المنافقين والضالّين والمفسدين فبيّن حالهم ليُحذر منهم.

وأما أهم التوصيات: قيامُ المحاضنِ الأصيلةِ في التوجيهِ بدورِها الفاعلِ كالأسرةِ والمدرسةِ والمسجد والجامعة؛ وذلك في مسارين: رئيسين: بناءٌ وهدم:بناءٌ لأسسِ تعظيمِ الوحيِ المعصومِ بفهمِ السلفِ، وعلى رأسهم صحابةُ محمدٍ الأطهار؛ وهدمٌ لأسسِ الباطلِ من التشكيك في السنةِ، والطعنِ في نَقَلَتِها ودواوينِها وشروحِها، وبيانُ أنَّ ذلك أولَ لَبنةٍ في هدمِ الدينِ كلِّه، وضعُ خطةٍ شاملةٍ لكافةِ وسائلِ الإعلامِ بأنواعِها لزيادةِ الوعيِ بخطورةِ حركاتِ التَّغريبِ المعاصرةِ، وسوءِ أثرِها البالغِ على النشءِ المسلم، السعيُ البالغُ لتمكينِ أهلِ العلمِ والتخصصِ من نشرِ علومِهم بكافةِ الوسائلِ عن طريقِ التدريسِ والتصنيفِ؛ لخلقِ بيئةٍ علميةٍ؛ ينتجُ عنها ممانعةٌ مُجتمعيةٌ ترفضُ وتنبذُ كلَّ مُفسدٍ دخيلٍ.

الكلمات المفتاحية: صفات، العلماء، الفكر التغريبي، التحصين، دراسة تحليلية، سورة البقرة...

The Qualities of Those from Whom Knowledge and Faith Should Be Acquired and Their Role in Safeguarding Against Westernizing Thought: A Descriptive, Analytical, and Daʿwah-Oriented Study in Light of Verses from Sūrat al-Baqarah (40–44)

Abdel-Hamid Hamdy Ahmed Al-Hosary
Department of Daʿwah and Islamic Culture, Faculty of Islamic Studies,
Islamic University of Minnesota, United States of America
Email : hamid.hosary@gmail.com

Abstract :
This research seeks to identify and articulate the defining qualities of those deemed worthy of being sources of knowledge and faith, as highlighted in the sacred text. Through a descriptive, analytical, and daʿwah-based approach to selected verses from Sūrat al-Baqarah, the study reveals one aspect of the Qur'an's function as a Furqān—a criterion that distinguishes truth from falsehood—whereby it differentiates between upright scholars devoted to truth, whose attributes are detailed to encourage reliance upon them, and corrupt scholars among the hypocrites, the misguided, and the corrupters, whose traits are exposed as a warning.
Key recommendations include the revitalization of core institutions—such as the family, school, mosque, and university—to actively fulfill their guiding roles on two levels:
(1) Constructing a reverence for the infallible revelation grounded in the understanding of the righteous predecessors, especially the noble Companions of the Prophet ﷺ; and
(2) Dismantling the intellectual foundations of falsehood, such as efforts to undermine the Sunnah, discredit its transmitters, and cast doubt on its canonical compilations and commentaries—acts which, if left unchallenged, serve as the initial steps toward dismantling the entire structure of the religion.
The study also recommends the development of a comprehensive media strategy to raise public awareness about the threats posed by modern Westernizing ideologies and their detrimental effects on Muslim youth. It further emphasizes the urgent need to empower scholars and specialists to disseminate their knowledge through teaching and authorship, thereby cultivating a scholarly ecosystem that generates societal resistance to ideological infiltration and moral corruption.

Keywords: Qualities – Scholars – Westernizing Thought – Immunity – Analytical Study – Sūrat al-Baqarah

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، ثم الصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على خير الورى طرًّا وأزكاهم فرعًا وأصلًا، أما بعد:

يقول الله ﷻ: (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا). (الفرقان:١)

صدق الله العظيم فالقرآن هو الفرقان، فرَّق الله به بين الحق والباطل، فهو المخرجُ من الشبهاتِ، كتابٌ عظيمٌ مُعجز، له حلاوةٌ وعليه طلاوةٌ، أعلاه مثمرٌ، وأسفله مُغدقٌ؛ فجذورُه مُغدقةٌ، تغذي ثمارَ الإيمان. وهو يعلو ولا يُعلَى عليه، ففضلُ كلامِ الله على غيرِه كفضلِ الله على خلقه، به تتجلى الحقائقُ ويَميزُ اللهُ به الخبيثَ من الطيب، من ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله تعالى، فهو حبلُ الله المتين، وصراطُه المستقيم، لا تزيغُ به الأهواءُ، ولا تلتبسُ به الألسنةُ، نورٌ مبينٌ وشفاءٌ وعصمةٌ لمن تمسكَ به ونجاةٌ لـمَن اتبعه.

ولما كان هذا الكتابُ كما وصفه الله ﷻ من فوق سبعِ سماواتٍ تبيانًا لكل شيءٍ فقد اشتملَ على الفرقان بين أولياءِ الرحمن وأولياءِ الشيطان، فبيَّن صفاتِ أهلِ العلمِ العاملين به حتى يتميزوا عن غيرِهم ممَن تشبَّهَ بهم وليس منهم؛ حتى يُعرفَ ويُحذرَ، ليكون للعالمين نذيرا.

فمن رحمةِ الله بعباده أن أقام فيهم بعدَ رسلِه الكرامِ – عليهم أفضلُ الصلاةِ والسلامِ – العلماء العاملين، وكان من أخصِّ صفاتِهم أنَّهم ينفون عن الوحيِ المعصومِ كتابًا وسنةً تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين، لله دَرُّهم، وقد بَشرنا الصادقُ

المصـــدوقُ الذي لا ينطقُ عن الهوى ببقائهم إلى يوم القيامة. فقال ﷺ: "لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتيَ أمر الله".(١)

وظهورُهم يشـملُ ظهورَ صـفاتِهم وأحوالِهم التي بها تُعرف أشـخاصُـهم وأعيانُهم، فالظهورُ هو الشهرةُ التي تنافي الاستتارَ والخفاءَ.

وكذلك ظهورُ سـلطانِ حجتِهم على مَن خالفَهم؛ أي: أنَّ الله يُعليهم ويرفعُهم بالحقِ المعصوم من الوحيِ المعصومِ بالفهمِ المعصومِ لسلف الأمةِ الأطهارِ، وعلى رأسهم صحابةُ محمدٍ ﷺ، ورضيَ عنهم، فهم قاهرون لعدوهم بما معهم من العلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ. لا يضرُّهم من خالفهم حتى تقومَ الساعة.

وإن من أعظمِ ما يُوَاجَهُ به تغريبُ العلوم الإسـلاميَّة تحديدُ وبيانُ صـفةِ مَن يُؤخَذ عنه العلم الشَّـرعيُّ، ومَن يحقُّ له الكلامُ في دينِ الله ﷻ، وبيان ما يتعلَّقُ بالوحي المعصـوم كتابًا وسُـنَّةً؛ فإنَّ إحكام هذا الباب يدفعُ بِعَونِ الله شـرًّا كثيرًا، ووبالًا مسـتطيرًا، طفحت به وسـائلُ التَّواصلِ الاجتماعيِّ ووسائلُ الإعلامِ الحديثةِ، حيث وُسِّدَ الأمرُ لغيرِ أهلِه.

ولما كان عمومُ المدعوين صـغارًا وكبارًا لا علمَ لهم بصـفةِ من يُؤخذُ عنه العلمُ الشـرعيُّ اختلطَ الحابلُ بالنَّابل. وكانت هذه القنواتُ الإعلاميةُ الـمُختلفةُ كلاً مباحًا يتكلمُ فيه مَن ليس من أهلِ العلم والتخصُّصِ.

ومن خلال المنهجِ التحليليِّ الوصـفيِّ الدَّعويِّ لبضـع آياتٍ من سـورة البقرة، والتي تُعدُّ هاديًا وُمرشدًا، ومُوضحًا ومُفصحًا لبعض الصفاتِ الـمُميِّزةِ للعلماءِ الموثوقين في تلقِّي الدِّينِ التي احتفى بها النصُّ الشرعيُّ.

---

(١)أخرجه مسـلم في صـحيحه كتاب الجهاد والسـير، باب في قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين (٣/ ١٥٢٣) برقم (١٩٢٠).

كان هذا البحث الذي انتظم في تمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

- المبحث الأول: شُكر النعمة والوفاء بعهد الله وخشيته.
- المبحث الثاني: القبول والتسليم والتعظيم للكتاب المُنزّل، والزهد في الدنيا.
- المبحث الثالث: التحذير مِن لَبس الحق بالباطل، وكتمان الحقّ مع العلم به.
- المبحثُ الرابعُ: لُزومُ العبادةِ والجماعةِ.
- المبحث الخامس: العملُ بالعلم.

التمهيد

إنَّ من أعظمِ أسبابِ حفظِ دينِ الإسلامِ العظيمِ، وحياطةِ القولِ فيهِ عنِ الجهلِ والمجازفةِ تعظيمَ القولِ على اللهِ بغيرِ علمٍ، وكان ذلك ظاهرا في النصوص من وجهين:

أولًا: خطابٌ لأهلِ العلمِ أن يحتاطوا في قولِهم عنِ اللهِ ورسولِهِ، قالَ تعالى: "ولا تقفُ ما ليسَ لكَ بهِ علمٌ" (الإسراءِ: ٣٦)، أخرجَ ابنُ جريرٍ عن محمدِ بنِ الحنفيةِ: "ولا تقفُ ما ليسَ لكَ بهِ علمٌ" أنهُ شهادةُ الزورِ. ووجهَهُ الطبريُّ بأن القولَ بما لا يعلمُهُ القائلُ يدخلُ في شهادةُ الزورِ(١).

وقولهُ: "إن السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئكَ كانَ عنهُ مسؤولًا"، أي: أن سمعَهُ وبصرَهُ يشهدانِ عليهِ، ذكرَهُ ابنُ عباسٍ. وهو ما وجهَهُ ابنُ عطيةَ بأن اللهَ تعالى يسألُ سمعَ الإنسانِ وبصرَهُ وفؤادَهُ عمَّا قالَ مما لا علمَ لهُ بهِ، فيقعُ تكذيبُهُ من جوارحِهِ، وتلكَ غايةُ الخزيِ.(٢)

وقالَ سبحانَهُ محذرًا من اتباعِ خطواتِ الشيطانِ: "إنما يأمرُكم بالسوءِ والفحشاءِ وأن تقولوا على اللهِ ما لا تعلمونَ" (البقرةِ: ١٦٩)؛ وفيهِ تدرجُهُ من الأدنى إلى الأعلى مع المدعوِّ؛ فعدوُّكم يأمرُكم بالأدنى من أفعالِ السوءِ، ثم الأغلظِ منها وهي الفواحشُ كالزنا ونحوِه، ثم الأغلظِ وهو القولُ على اللهِ بغيرِ علمٍ. فيدخلُ في ذلكَ كلُّ كافرٍ وكلُّ مبتدعٍ.(٣)

وقد جعلَ اللهُ سبحانهُ القولَ عليهِ بغيرِ علمٍ في الذروةِ العُليا من المحرماتِ، كما في سورةِ الأعرافِ: "قل إنما حرمَ ربي الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون" (الأعرافِ: ٣٣)؛

---

(١) جامع البيان، الطبري (١٤/ ٥٩٥).

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ٤٨٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٧٩).

حيثُ جعلَ المحرماتِ فيها على أربعِ مراتبَ بالتدريجِ: فبدأَ بالأسهلِ، وهي الفواحشُ، ثم الأشدِّ، وهو الإثمُ والظلمُ، ثم الأشدِّ، وهو الشركُ باللهِ، ثم ختمَ بالأعظمِ عندَ اللهِ، وهو القولُ عليهِ بغيرِ علمٍ؛ لأنَّهُ السببُ فيما سبقَ، ولأنَّهُ يشملُ القولَ بلا علمٍ في العقائدِ أو الشرائع.[١] هذا فيما يتعلقُ بأهلِ العلمِ والمنتسبينَ إليهِ.

وأما خطابُ العوامِّ والمُستفتينَ والمتعلّمينَ من عمومِ المدعوينَ:

فكانَ الأمرُ لهم واضحًا بصيانةِ وحياطةِ الشريعةِ الغرّاءِ بقولهِ تعالى: "فاسألوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لا تعلمونَ" (النحل:٤٣)، فكانَ السؤالُ مخصوصًا بأهلِ الذكرِ، وليسَ بكلِّ أحد!

وعمومُ لفظِها فيهِ مدحٌ لأهلِ العلمِ، حيثُ أُمرَ مَن لا يعلمُ بالرجوعِ لمن يعلم، وفيهِ تخصيصٌ وتشريفٌ وتكريمٌ لهم، حيثُ خصَّهم سبحانهُ بالسؤالِ دونَ غيرِهم، مما يدلُّ أنَّهُ ائتمنَهم على وحيهِ، وعلى رأسِهم أهلُ العلمِ بالقرآنِ العظيمِ.

وقد حذرَ النبيُّ ﷺ من فِتنِ آخرِ الزمانِ، فأخبرَ أنه" سيأتي علَى النَّاسِ سنواتٌ خدَّاعاتُ يصدَّقُ فيها الكاذبُ ويُكَذَّبُ فيها الصَّادِقُ ويُؤتَمنُ فيها الخائنُ ويُخوَّنُ فيها الأمينُ وينطِقُ فيها الرُّوَيْبضةُ قيلَ وما الرُّوَيْبضةُ قالَ الرَّجلُ التَّافِهُ في أمرِ العامَّةِ"[٢] وفيها إشارةٌ إلى تضييعِ الأمانةِ، ومنهُ اتخاذُ الجهالِ علماءَ عندَ غيابِ أهلِ العلمِ حقًّا وصدقًا.

وهو ما نبَّهَ عليهِ الصادقُ المصدوقُ في حديثٍ آخرَ بقولهِ: إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم (٢/ ٧٣) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٢/ ١٣٣٩) برقم (٤٠٣٦) وجوّد إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٩١/ ١٣).

رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأضلّوا"[1] فأشارَ إلى حاجةِ الناسِ لمن يُفتيهِم، فإن لم يجدوا العلماءَ حقًّا وصدقًا، تساهلوا وسألوا الجهال الذينَ يُفتونَ بغيرِ علمٍ، فيَضلّونَ في أنفسهم عن الحقِّ، ويُضلّونَ مَن يتبعهم.

وفيهِ خطورةُ سؤالِ الجهالِ والتحذيرُ من ترئيسِهم أو فتحِ المجالِ لهم للفتوى والتعليمِ؛ لأنَّهُ يحصلُ بذلكَ الضررُ الكبير.

ومن هنا كانَ الأثرُ المشهورُ لابنِ سيرينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: " إن هذا العلمَ دينٌ، فانظروا عمن تأخذون دينكم."[2]

وبهذا يظهرُ حمايةُ النصوصِ لمقامِ الكلامِ في دينِ اللهِ تأليفًا وتدريسًا وإفتاءً وشرحًا، من جهةِ تغليظِ الوعيدِ لمن تكلَّمَ في الدينِ بغيرِ علمٍ، بل عُدَّ ذلك توقيعٌ عن ربِّ العالمينَ.

وكذلك من جهةِ المستفتي والمُتعلّمِ بأمرِه بالأخذِ عن أهلِ الذكرِ والعلمِ وحدهم دون غيرِهم، وتحذيرهُ من وجودِ بعضِ أصحابِ الهوى والجهلِ الذين يتلبسونَ بلباسِ أهلِ العلمِ ليُحذروا؛ لأنَّهم سببٌ عظيمٌ في الضلال والإضلالِ.

ولما كانَ هذا الكتابُ الخاتمُ المعجزُ تبيانًا لكلِّ شيءٍ، فقد احتوى على صفاتٍ مُميِّزةٍ لأهلِ الحقِّ عن أهلِ الباطلِ، بها يزدادُ المرءُ بصيرةً في دينِهِ، وقوةً في يقينِهِ، ومعرفةً لصفاتِ علماءِ الحقِّ من علماءِ السوءِ، من خلالِ بضعِ آياتٍ في سورةِ البقرةِ، وهي محورُ هذا البحثِ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يُقبض العلم (١٣/ ١) برقم (١٠٠).

(٢) أخرجه مسلم في مقدّمة الصحيح، باب في أن الإسناد من الدين (١/ ١٦).

المبحث الأول

شُكر النعمة والوفاء بعهد الله وخشيته.

قال تعالى: "يَا بَنِي إِسْـرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ" (البقرة: ٤٠)

إنّ من أفضل ما يُفسّر به القرآن هو القرآن، يقول صاحب أضواء البيان:" قَوْلُهُ تَعالى: ﴿يا بَنِي إِسْـرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ لَمْ يُبَيِّنْ هُنا ما هَذِهِ النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَها عَلَيْهِمْ، ولَكِنَّهُ بَيَّنَها في آياتٍ أُخَر، كَقَوْلِهِ: ﴿وَظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الغَمامَ وأَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ المَنَّ والسَّلْوى﴾ [البقرة: ٥٧]، وقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْناكم مِن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكم سُوءَ العَذابِ﴾ (البقرة: ٤٩) الآيَةَ، وقَوْلِهِ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا في الأرْضِ ونَجْعَلَهم أئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ﴾ ﴿وَنُمَكِّنَ لَهم في الأرْضِ ونُرِيَ فِرْعَوْنَ وهامانَ وجُنُودَهُما مِنهم ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦] إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآياتِ.

وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ لَمْ يُبَيِّنْ هُنا ما عَهْدُهُ وما عَهْدُهم، ولَكِنَّهُ بَيَّنَ ذَلِكَ في مَواضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَقالَ اللهُ إنِّي مَعَكم لَئِنْ أقَمْتُمُ الصَّلاةَ وآتَيْتُمُ الزَّكاةَ وآمَنتُمْ بِرُسُلِي وعَزَّرْتُمُوهم وأقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكم سَيِّئاتِكم ولَأُدْخِلَنَّكم جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأنْهارُ﴾ [المائدة: ١٢] فَعَهْدُهم هو المَذْكُورُ في قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ أقَمْتُمُ الصَّلاةَ وآتَيْتُمُ الزَّكاةَ وآمَنتُمْ بِرُسُلِي وعَزَّرْتُمُوهم وأقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وعَهْدُهُ هو المَذْكُورُ في قَوْلِهِ: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهم سَيِّئاتِهِمْ﴾ .

وَأشارَ إلى عَهْدِهِمْ أيْضًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أخَذَ اللهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآياتِ. ".[1]

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (١/ ٣٤).

قال ابن الأنباري: "والمعنى في الآية: اذكر واشكر نعمتي، فحذف الشُّكر اكتفاء بذكر النِّعمة"[١].

"والخطابُ وإنْ كان لبني إسرائيلَ، لقولِهم مقصودين بالتبكيتِ لنسيانِهم نعمَ اللهِ تعالى، وكونِ نعمتِه عليهم أظهرَ، فالناسُ طُرًّا يُشاركونَهم في وجوبِ ذكرِ نعمتِه عليهم... وعهودُ اللهِ كثيرةٌ، بعضُها مرتبٌ على البعضِ، والوفاءُ بكلِّ واحدٍ مقابلة، فأولُ منزلتِه إظهارُ الشهادتينِ، ويقابلهُ من اللهِ تعالى حقنُ الدماءِ والأموالِ، كما قال -عليه السلام-: "من قال: لا إلهَ إلا اللهُ، فقد عصمَ مني مالَهُ ودمَهُ".[٢]

وآخرُهُ ما كان من أولياءِ اللهِ في حفظِ النظراتِ والخطراتِ، ويقابلهُ من اللهِ تعالى "ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ"[٣]، وبينهما وسائطُ كثيرةٌ لها من اللهِ تعالى مقابلاتٌ.

ولما كان من مبدئهِ إلى منتهاهِ عرضًا كثيرًا، نظرَ كلُّ واحدٍ من المفسرينَ للآيةِ نظرًا، ما صارت بهِ أقوالُهم مختلفةً في الظاهرِ، بحسبِ اختلافِ نظراتِهم...وهذهِ الأقاويلُ اختلفت إما بحسبِ اختلافِ النظراتِ، أو بحسبِ اختلافِ العباراتِ، وفيما بُيِّنَ من الأصلِ معرفةُ نظرِ الكلِّ، وإنَّ عامةَ أقوالِهم لا تخرجُ عن الصوابِ - إن شاء اللهُ"[٤].

فكان خلاصةُ الأمرِ الأولِ الموجَّهِ لبني إسرائيل: الإيفاءُ بالعهود، التي من أعظمها متابعةُ هذا النبيِّ الكريمِ، والإيمانُ بكتابهِ الذي نُفِي عنهُ الريبُ.[٥]

---

(١) فتح البيان، للقنوجي (١/ ١٤١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (٢/ ١٠٥) برقم (١٣٩٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢١٧٤/ ٤) برقم (٢٨٢٤).

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ١٦٧).

(٥) نظم الدرر، للبقاعي (١/ ٣١٢).

فالوفاءُ بالعهدِ أصلُهُ المذكورُ في كتبهم قبل التحريف، من التوحيدِ ونبذِ الشركِ، والإيمانِ بالرسلِ، والخضوعِ للشرائعِ، والاتباعِ للدليلِ. وعهدُهم التمكينُ في الدنيا، والفوزُ في الآخرةِ.(١)

وجُعلت الرهبةُ منه سبحانه، وخشيته وحده هي الباعثُ الحاملَ على الوفاءِ بالعهدِ؛ لأن الخشيةَ توجبُ امتثال الأمرِ(٢).

وقد يُقال بتخصيصِ العهد هنا بما يتعلقُ باتباعِ رسولِ اللهِ ﷺ وسنته، وبيانِهَا للناسِ(٣)، والأمرُ بتعظيمِ القرآنِ في الآيةِ التاليةِ فتنتظم هذه الوصيةُ العظيمةُ؛ تعظيمَ الوحيينِ: الكتابِ والسنةِ.

ويكونُ مِن صفاتِ مَن يُؤخذُ عنهُ العلمُ والإيمانُ المستفادة من هذه الآية:

أوَّلًا: شُكرُ نعمةِ اللهِ عليهِ باجتهادِهِ في امتثالِ الأمر، واجتنابِ النَّهي.

ثانيًا: الوفاءُ بالعهدِ قيامًا بالشكرِ، وفيها تعظيمُ متابعةِ الرسولِ الخاتمِ، والقيامُ بشرائِعِهِ.

ثالثًا: تحقيق خشيةِ اللهِ، التي هي باعثُ الوفاءِ بالعهدِ وشُكرِ النعمِ.

ويُعلَمُ بالمخالفةِ: أن مَن لم تتوفرْ فيهِ هذه الصفاتُ، ليس جديرًا بأن يُؤخذَ عنهُ العلمُ والإيمانُ.

فمن كان مُشكّكًا في السنةِ، طاعنًا فيها وفي نَقَلَتها ودواوينها، دلَّ ذلكَ على عدمِ تعظيمِهِ للشرعِ وسُوءِ نيَّته، وقُبحِ طويَّتِهِ، وضعفِ خشيتِهِ، وكونِهِ كنودًا لا يشكرُ نعمةَ اللهِ عليهِ بإرسالِ هذا النبيِّ الخاتمِ إليه.

---

(١) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (١/ ٢٤١) بتصرف.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٥٠) بتصرف.

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (١/ ٥٥٧).

المبحث الثاني:

القبول والتسليم والتعظيم للكتاب المُنزّل، والزهد في الدنيا.

قوله تعالى: (وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) (البقرة: ٤١).

أي: صدّقوا بما أنزلتُ على مُحمَّدٍ مِنَ القُرآنِ، المُصدّق لِما مَعَكُم مِنَ التَّوراةِ، ولا تَكونوا أوَّلَ مَن يَكْفُرُ بِهِ، فَتَبيعوا ما آتيتُكُم مِنَ العِلمِ بثَمَنٍ بَخْسٍ[١].

(وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) اختَلَفوا في عَودِ الضَّميرِ: بِمُحمَّدٍ أوْ بِالقُرآنِ، وكُلُّ القولَيْنِ صَحيحٌ؛ لأنَّ الكُفرَ بالقُرآنِ كُفرٌ بمُحمَّدٍ ﷺ، والعَكْسُ صَحيحٌ.[٢]

(ولا تَشْتَروا بِهِ ثَمَنًا قَليلًا) قال الحسنُ: "لا تأخذوا على تغييره وتبديله ثمنًا"[٣]،

وأصلُه أنَّ رؤساءَ اليهود كانت لهم مآكلُ يُصيبونها من سِفلتهم وعوامِّهم، فخافوا إن بيَّنوا صفةَ محمدٍ وتابعوه أن تفوتَهم تلك المآكلُ والرئاسة، فاختاروا الدنيا على الآخرة[٤].

وقيل: "لا تَعتاضوا عن الإيمانِ بالآياتِ وتصديقِ رسولي بالدنيا وشهواتها، فإنها قليلةٌ فانيةٌ. قال الحسنُ رحمه الله: الثمنُ القليلُ الدنيا بحذافيرها ... وقيل: معناه لا تَعتاضوا عن البيانِ والإيضاحِ ونشرِ العلم النافع في الناس بالكِتمان واللَّبس، لتَستمروا على رئاستكم في الدنيا القليلةِ الحقيرةِ الزائلةِ عن قريب".[٥]

---

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ٥٦٠)، والخلاصة من تفسير الطبري، للشمّري (٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٣).

(٣) النكت والعيون، للماوردي (١/ ١١٢).

(٤) البسيط، للواحدي (٢/ ٤٣٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٢٤٤).

"وإنما سُـمّي هذا الجزاء قليلا؛ لأن كل ما عدا الحق قليلٌ وحقير بالنسـبة إليه، وكيف لا يكون قليلا وصـاحبه يخسـر عقله وروحه قبل كل شـيء؛ لإعراضـه عن الآيات البينات، والبراهين الواضحات، ثم إنه يخسر عز الحق وما يكون له من الشأن العظيم وحسن العاقبة، ثم إنه يخسر مرضاة الله – تعالى – وتحل به نقمه في الدنيا وعقوبته في الآخرة."[١]

ومعلومٌ أنَّ دلالةَ هذه الآية عامة، فالعبرةُ بعموم اللَّفظ لا بخصـوص السَّـبب، فهي "وإن كانت خاصة ببني إسرائيل فهي تتناول مَن فعل فعلهم. فمن أخذ رشوة على تغيير حق أو إبطاله أو امتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه، وقد تعيَّن عليه حتى يأخذ عليه أجرًا فقد دخل في مقتضى الآية. والله أعلم"[٢].

(وإيَّايَ فَاتَّقون): " فاتقونِ – في بَيعكم آياتي بالخسيس من الثمن، وشرائكم بها القليل من العَرَض، وكُفركم بما أنزلت على رسولي وجحودكم نبوة نبيِّي – أنْ أُحِلّ بكم ما أحللتُ بأسلافكم الذين سلكوا سبيلكم من المَثُلات والنَّقِمَات"[٣].

وبِهذا يَظهَرُ مِن صِفاتِ مَن يُؤخَذُ عنهم العِلمُ والإيمانُ المُستفادُة مِن هذهِ الآيةِ:

أوَّلًا: القَبولُ والتَّصديقُ بكُلِّ ما جاءَ في القُرآنِ والسُّنَّةِ.

ثانِيًا: عَدَمُ تَقديمِ الدُّنيا علَى الآخِرةِ، والزُّهد في الدُّنيا.

ثالِثًا: تَحقيقُ تَقوَى اللهِ، الباعِثَةِ علَى أنْ يَجعَلَ بَينَكَ وبَينَ عَذابِهِ وِقايةً بفِعلِ الأمْرِ واجتِنابِ النَّهيِ.

وبِهذا يُعلَمُ أنَّ مَن تَحقَّقَ بِضِدِّ هذهِ الصِّفاتِ –مِن تَحريفِ النَّصِّ الشَّرعيِّ، والتَّشكيكِ

(١) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (١/ ٢٤٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/ ٣٣٤).

(٣) جامع البيان، للطبري (١/ ٥٦٦).

في فَهمِ القُرآنِ بمَناهِجِ نقدِيَّةٍ غَربيةٍ حادثَةٍ- تطعَنُ في الكِتابِ، وتذهَبُ بمقاصِدِهِ، وتجعَلُهُ نَصًّا مَفتوحًا يَستَطيعُ كُلُّ مُبطِلٍ أنْ يَجعَلَهُ مَرمًى فَسيحًا للتَّأويلِ الفاسِد، وكذلكَ التَّشكيكُ في سيرةِ النَّبيِّ ﷺ وسُنَّتِهِ، والطَّعنُ في نَقَلَتِها؛ كُلُّهُ دالٌّ علَى ضَعفِ تَقوى اللهِ ﷻ، و عدم الخَوفِ مِن عَذابِهِ الأليمِ، والرُّكونِ إلى الدُّنيا والطَّمَعِ فيها، كُلُّها مِن صِفاتِ دُعاةِ الفِكرِ التَّغريبيِّ، ودُعاةِ الفَساد، فمن صفاتهم:

أوَّلًا: الرُّكونُ بالتَّأويلِ الفاسِدِ، والتَّحريفِ البالِغِ للنَّصِّ الشَّرعيِّ باتِّباعِ مَناهِجِ غَربيةٍ وافِدةٍ هَدَّامةٍ.

ثانِيًا: التَّشكيكُ في السُّنَّةِ والسِّيرةِ والطَّعنُ في نَقَلَتِها ودواوينها، وبَثُّ الشُّبهاتِ عنها.

ثالِثًا: الحِرصُ علَى الدُّنيا وشَهَواتِها، سِيما المالِ والجَاهِ. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول:" ما ذِئبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غنَمٍ، بأفسدَ لَها من حِرصِ المَرءِ علَى المالِ والشَّرَفِ لدينِهِ"[1]

رابِعًا: ضَعفُ تَقوى اللهِ في قُلوبِهِم، مِمَّا يَظهَرُ علَى لَحنِ قَولِهِم قال تعالى: "ولتعرفنّهم في لحن القول" (محمد: ٣٠)

وكُلُّها صِفاتٌ مُمَيِّزةٌ فارقةٌ واضِحةٌ لدُعاةِ الباطِلِ عن دُعاةِ الحَقِّ.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع في أبواب الزهد (١٦٦/ ٤) برقم (٢٣٧٦) وقال حسن صحيح.

المبحث الثالث:

التحذير مِن لَبس الحق بالباطل وكتمان الحقّ مع العلم به.

قوله تعالى: (ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) (البقرة:٤٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " لا تخلطوا الصدق بالكذب"(١).

(وتكتموا الحق) قال ابن عباس رضي الله عنهما: " أي ما عندَكم من المعرفةِ برسولي، وهو موجودٌ في كتبكم"(٢).

وثمة تلازمٌ بين اللبس والكتمان للحقّ " لأن مَن لبَس الحق بالباطل، كما فعله أهل الكتاب حيث ابتدعوا دينًا لم يشرعه الله، فأمروا بما لم يأمر به، ونهوا عما لم ينه عنه، وأخبروا بخلاف ما أخبر به، فلابد له أن يكتم من الحق المُنزّل ما يناقض بدعته، إذ الحق المُنزّل الذي فيه خبر بخلاف ما أخبر به إن لم يكتمه لم يتم مقصوده، وكذلك الذي فيه إباحة لما نهي عنه أو إسقاط لما أمر به"(٣).

ولبس الحق بالباطل لغةً ""اللام والباء والسين أصلٌ صحيحُ، يدل على مُخالطةٍ ومُداخلةٍ؛ ومنه فروعٌ: اللَّبس: اختلاطُ الأمر، وأصلُه اختلاطُ الظَّلامِ"(٤).

قال ابن عرفة: "لا تلبسوا الحقَّ بالباطل" أي: لا تخلطوه به"(٥).

وقيل: "المعنى المحوري: تغطيةٌ بمداخلة، منها: الحسِّيّ: (هن لباسٌ لكم)، ومنها

---

(١) جامع البيان (١/ ٥٦٨).

(٢) جامع البيان (١/ ٥٧١).

(٣) درء التعارض، لابن تيمية (١/ ٢٢٠).

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٢٣٠) بتصرف.

(٥) عمدة ألفاظ، للسعيد الحلبي (٤/ ٨).

المعنويّ: (لَبســت عليه الأمر) خلطته؛ أي: أدخلتُ بعضَــه في بعضٍ؛ فخَفِيَ وجهه عليه. والتبس عليه الأمر: اختلط واشتبه"[1].

والمراد في الآيةِ: قيل: الخَلْط، لَبســت عليه الأمر أُلبِسُــه؛ إذا خلطتُ حقّه بباطلِه، وواضحه بمُشكله، وقيل: التَّغطية؛ أي: لا تُغَطّوا الحقَّ بالباطلِ[2].

"ومن اللَّبس أيضــا ما يفتريه الرؤســاء والأحبار فيكون صــادا لهم عن ســبيل الله وعن الإيمان بنبيّه عن ضــلال وجهل، وهو لبس أصــول الدين بالمحدثات والتقاليد التي زادوها على الكتب المنزلة بضروب من التأويل والاستنباط من كلام بعض المتقدمين وأفعالهم.

فكانوا يحكّمون هذه الزيادات في الدين حتى في كتب الأنبياء، ويعتذرون بأن الأقدمين أعلم بكلام الأنبياء وأشــد اتباعا لهم، فهم الواســطة بينهم وبين الأنبياء، وعلى مَن بعدهم الأخذ بما يقولون دون ما يقول الأنبياء الذين يصعب عليهم فهم كلامهم بزعمهم، ولكن الله لم يقبل هذا العذر منهم فأســند إليهم ذلك اللبس وكتمان الحق الموجود في التوراة إلى اليوم، وكذلك لا يقبل الله ممن بعدهم ترك كتابه لكلام الرؤســاء بحجة أنهم أكثر علما وفهما، فكل ما يعلم من كتاب الله – تعالى – يجب العمل به، وإنما يَسأل الإنسان أهل الفهم عما لا يعلم منه ليعلم فيعمل."[3]

ومن صُورِ لَبْسِ الحقِّ بالباطل المعاصرةِ التي يقوم بها دعاةُ الفِكْرِ التَّغريبيِّ:

الخَلطُ بين المسائلِ؛ فعند الحديثِ عن مُساواةِ المرأةِ بالرَّجُلِ في الميراث، يتمُّ الخَلْطُ بين ما أوجبه الشــرَّعُ لكلٍّ من الرَّجلِ والمرأة، وما يجب لكلٍّ منهم بأصــل الشَّــرع، وبين ما

(١) المعجم الاشتقاقي، لمحمد جبل (٤/ ١٩٥١).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (١/ ٨٨) بتصرف يسير.

(٣) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (١/ ٢٤٣).

يحصـــل فيه التَّراحمُ أو التَّنازلُ من بعضِ الأقاربِ أو بين بعضِ الأقاربِ ممَّا هو جائزٌ أو مستحبٌّ، ولكنه ليس واجبًا على صاحبه، وهذا من الخلط الكبير.

ومنه كذلك: الكذب على الصـــحابة الأطهار ﷺ بنســـبة بعض المذاهب التَّغريبيَّة الباطلة، والمبادئ الـــمُصادمة لأصل الشرع لهم؛ للتَّلبيسِ على عمومِ المدعوين بمشروعيَّةِ هذه المذاهبِ والمبادئ الهدَّامةِ.

وأما كتم الحق: أي ستر الحديث، وأصل الكتم يدل على إخفاء وستر.(١)

والمعنى المحوريُّ للكتم هو " منع تســرُّب ما يمتلئ به باطن الشَّـــيء بســـدِّ منافذ خروجِه، ومنه كتم السِّرّ، وكأنَّ السر خبرٌ مختزنٌ في الصدر، وستره كأنّه سدٌّ لمنفذه، وكذلك كتم العلم، وكلّ ما في القرآن فهو بمعنى: حبس الكلام عما في القلب من شـــهادةٍ أو علمٍ أو فكرٍ أو تدبيرٍ أو عقيدةٍ.(٢)

فحقيقة الكتم: سترُ الشيء وتغطيته، وغلَب في الحديث(٣).

"واستُدل بالآية على أن العالم بالحق يجب عليه إظهاره ويحرم عليه كتمانه بالشروط المعروفة لدى العلماء"(٤).

ويدخل في ذلك أيضًا: الحرصُ على البيانِ الواضحِ، والتعليمِ الشافي الكافي لأصولِ الدينِ وفروعِه، مع تعظيمِ الدليلِ، والتجرُّدِ له. وهذا من أهمِّ خصائصِ مَن يُؤخذُ عنهم العلمُ والإيمانُ من أهلِ العلمِ الراسخين.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ١٥٧).

(٢) المعجم الاشتقاقي، لمحمد جبل (٤/ ١٨٦٩).

(٣) المفردات، للراغب (٧٠٢)، وعمدة الحفاظ، للحلبي (٣/ ٣٧٦).

(٤) روح المعاني، للألوسي (١/ ٢٤٨).

وإنما جاء القَبولُ لهم، والرِّفعةُ في الدارين، لرفعِهم الوحيَ، وتقديمِه على كلِّ شيءٍ؛ فهم يدورون مع الحقِّ حيث دار، يُعلِّمون الناسَ القرآنَ والسنَّةَ بفهمِ سلفِ الأمة، وعلى رأسِهم الصحابةُ الأطهار، ويَصبِرون ويُصابِرون على تعليمِ الناسِ ما يَنْفَعُهُم من أُمورِ دينِهِم، من عَقائِدِهِم وعباداتِهِم.

وبالمفهومِ: مَن لَمْ يَشْتَغِلْ بتعليمِ الناسِ ما يَنْفَعُهُمْ في أُمورِ دينِهِم، بل يَسْعَى في تَشْكِيكِهِم في مُسَلَّماتٍ وأُصُولِ العقائدِ والأديانِ، ليسَ من أهلِ العلمِ والدينِ، وإنِ انْتَسَبَ إلَيْهِم.

وبهذا يُعلَمُ أن هذه الصفة، وهي لَبْسُ الحقِّ بالباطل وكتمان الحق، من الصِّفاتِ المُمَيِّزةِ لدُعاةِ الفكرِ التَّغريبيِّ، ولهذا خُصّت بالذم في النَّصِّ الشرعيِّ، لأنها تدلُّ على سُوءِ قصدِ صاحبها، وعَدمِ طلبِه للحقِّ، وتجرُّده له، وعدم الحرص على نشره وتبليغه، وعَدمِ الأمانة العلميَّةِ، والجُنُوحِ للخلطِ والمجازفةِ، وكلُّها من آثارِ وطأةِ الفكرِ التَّغريبيِّ التي تأثَّر بها بعضُ المنتسبين إلى العلمِ الشرعيِّ، والدراسةِ الأكاديميَّةِ.

المبحثُ الرابعُ:

لُزومُ العبادةِ والجماعةِ.

قال تعالى: ﴿وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ واركعوا مع الراكعينَ﴾ (البقرة: ٤٣).

"هذا أمرٌ من الله جل ثناؤه - لمن ذكر من أحبار بني إسرائيل ومنافقيها - بالإنابة والتوبة إليه، وبإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والدخولِ مع المسلمين في الإسلام، والخضوع له بالطاعة؛ ونهيٌ منه لهم عن كتمان ما قد علموه من نبوة محمد ﷺ، بعد تظاهر حُججه عليهم... وبعد الإعذار إليهم والإنذارِ، وبعد تذكيرهم نعمه إليهم وإلى أسلافهم تعطُّفًا منه بذلك عليهم، وإبلاغًا في المعذرة"(١).

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: "يعني بالزكاةِ طاعةَ اللهِ والإخلاص"(٢).

وعن مقاتل بن حيان: ﴿واركعوا مع الراكعين﴾، قال: أمرهم أن يركعوا مع أمة محمد. يقول: كونوا منهم، ومعهم!(٣)

"فهذا أمرٌ ليكونوا مع المؤمنينَ في أحسنِ أعمالِهم، ومن أخصِّ ذلك الصلاة"(٤).

"وفيه أمرٌ لهم بصالح العمل على الوجه المقبول عند الله، فطلب إليهم إقامة الصلاة؛ لتطهر نفوسهم، كما طلب إليهم إيتاء الزكاة التي هي: مظهر شكر الله على نعمه، والصلة العظيمة بين الناس؛ لما فيها من بذل المال لمواساة عيال الله، وهم الفقراء؛ ولما بين الناس من تكافل عام في هذه الحياة، فالغنيّ في حاجة إلى الفقير، والفقير في حاجة إلى الغني، كما

---

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ٥٧٥).

(٢). أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٩٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٠٠).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٦).

ورد في الحديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا[1]، وبعد إذ أمرهم بالركوع مع الراكعين؛ أي: أن يكونوا في جماعة المسلمين ويصلّوا صلاتهم، وقد حثّ على صلاة الجماعة؛ لما فيها من تظاهر النفوس عند مناجاة الله، وإيجاد الألفة بين المؤمنين؛ ولأنه عند اجتماعهم يتشاورون في دفع ما ينزل بهم من البأساء، أو يجلب لهم السرّاء"[2].

وقيل: فيه الإشارةُ لحفظِ الآدابِ مع ربِّ الأربابِ، ولتزكيةِ الهممِ والنفوسِ، كما تُؤدَّى زكاةُ النِّعَمِ، والحرصُ على الاقتداءِ بآثارِ السلفِ، وجماعةِ المسلمينَ في كلِّ وقتٍ وحينٍ، وتجنُّبِ الشذوذِ والانفراد، "فإنَّ الكونَ في غِمارِ الجميعِ أسلمُ من الامتيازِ عن الكافَّةِ"[3].

وبهذا يظهرُ بعضُ صفاتِ من يُؤخذُ عنهم العلمُ والإيمانُ، ومن تشبَّهَ بهم وليس منهم.

فمن صفاتِ من يؤخذ عنهم العلمِ والإيمانِ:

أولًا: لزومُ الطاعةِ والعبادةِ، والحرصُ على تزكيةِ الباطنِ والظاهرِ من الإخلاصِ لله، والطاعةِ لرسولِه ﷺ، وهما شرطانِ لقبولِ العملِ، قال تعالى: ﴿بلى مَن أسلمَ وجهَهُ للهِ وهو محسنٌ﴾ (البقرة: ١١٢).

ثانيًا: مِن أخصِّ خصائصِ العلماءِ الراسخينَ: لزومُ جماعةِ المسلمينَ وعدمُ مفارقتها، فالخلاف شرٌّ، وصحّ مرفوعًا:" إنَّ اللهَ لا يجمعُ أمَّتي - أو قالَ: أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ - علَى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا (١٢/ ٨) برقم (٦٠٢٦).

(٢) حدائق الروح، للهرري (١/ ٣٦٢).

(٣) لطائف الإشارات، للقشيري (١/ ٨٦).

ضلالةٍ ويدُ اللهِ معَ الجماعةِ ، ومَن شَذَّ شذَّ إلى النار"[١].

إلَّا أنَّه ثمَّة أفرادٍ ممن ينتسبونَ إلى العلمِ والدينِ؛ حرصوا على صرفِ وجوهِ الناسِ إليهم، فحرصوا على شذوذِ الأقوال والمسائل ليميلوا مع هوى العامةِ، بدعوى الترخّصِ والتيسير، وينشرون ما يشككون به الناس في مسلّمات الدين، والمعلوم بالضرورة من المحرمات.

وروي مرفوعًا: " مَن تعلم علمًا لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار"[٢].

فمَن كانت هذه صفتُهُ، فقد دلَّ على نفسِه بفعله، ولا يصلحُ أن يُؤخذَ العلمُ عن هؤلاءِ.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع في أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٣٦/ ٤) برقم (٢١٦٧)، وقال الصنعاني في التنوير (٣٥٤/ ٣) رجال إسناده ثقاتــ إلا أن فيه اضطرابًا، وصحّح معناه موقوفا الحافظ ابن حجر في موافقة الخُبر الخبر (١١٥/ ١).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع في أبواب العلم، باب ما جاء في مَن يطلب بعلمه الدنيا (٣٣٠/ ٤) برقم (٢٦٥٥) وقال حسن غريب.

المبحث الخامس: العملُ بالعلم.

قال تعالى: "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" (البقرة:٤٤).

الصواب في المراد بالبر هنا ما ذكره ابن جرير الطبري رحمه الله: " أَتَأمُرونَ الناسَ بطاعةِ اللهِ وتتركونَ أنفسَكم تَعصيهِ؟ فهلاَّ تَأمرونَها بما تَأمرونَ بهِ الناسَ من طاعةِ ربِّكم؟! مُعَيِّرًا لهم بذلك، ومُقَبِّحًا إليهم ما أتَوا به."[١]

والمراد بـ(أفلا تعقلون): " أفلا تفقهون وتفهمون قُبحَ ما تأتونَ من معصيتِكم ربَّكم التي تأمرونَ الناسَ بخلافِها، وتنهونَهم عن ركوبِها، وأنتم راكبوها، وأنتم تعلمونَ أنَّ الذي عليكم من حقِّ الله وطاعته، واتباعِ محمدٍ والإيمانِ به وبما جاءَ به، مثلُ الذي على من تأمرونه باتباعِه."[٢]

فالخطابُ عامٌّ لكلّ مَن تلبَّس بنشر الخير، والأمرِ به، والنَّهي عن الشَّرِّ؛ يُقال له: " كيف يليقُ بكم.. وأنتم تأمرون الناسَ بالبرِّ، وهو جماعُ الخيرِ، أن تنسوا أنفسَكم، فلا تأتمروا بما تأمرون الناسَ به، وأنتم مع ذلك تتلونَ الكتابَ، وتعلمونَ ما فيه على من قصّرَ في أوامرِ الله؟ أفلا تعقلونَ ما أنتم صانعون بأنفسِكم؛ فتنتبهوا مِن رقدتكم، وتتبصروا من عمايتكم؟!"[٣].

---

(١) جامع البيان، للطبري (٢/ ٩).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٦).

والذَّمّ مُتوجّهٌ على تركِ العملِ بالعلم، ومُخالفةِ الفعلِ للقول، وقد وردَ في ذلك وعيدٌ شديدٌ؛ منه ما في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد ﷺ: " يُجاءُ بالرجلِ يومَ القيامةِ فيُلقى في النارِ، فَتَندَلِقُ[١] به أقْتابُه[٢]، فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ برَحاه[٣]، فيُطِيفُ به أهلُ النارِ، فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ما أصابك؟ ألم تكن تأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن المنكرِ؟ فيقول: كنتُ آمُرُكم بالمعروفِ ولا آتيهِ، وأنهاكم عن المنكرِ وآتيهِ"[٤]. وكان هذا متقرّرًا عند السلف

"فعن عبد الله بن عباس ﷺ أنه جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس، إني أريد أن آمرَ بالمعروف، وأنهى عن المنكر. قال: أوَبلَغْتَ ذلك؟ قال: أرجو. قال: فإن لم تخشَ أن تُفْتَضَحَ بثلاثة أحرف في كتاب الله، فافعل. قال: وما هُنَّ؟ قال: قوله ﷻ: ﴿أتأمرونَ الناسَ بالبرِّ وتنسونَ أنفسَكم﴾، أحَكمْتَ هذه الآية؟ قال: لا. قال: فالحرفُ الثاني؟ قال: قوله تعالى: ﴿لم تقولونَ ما لا تفعلونَ * كبرَ مقتًا عندَ اللهِ أن تقولوا ما لا تفعلونَ﴾ [الصف: ٢-٣]، أحَكَمْتَ هذه الآية؟ قال: لا. قال: فالحرفُ الثالث؟ قال: قولُ العبدِ الصالحِ شعيبٍ: ﴿ما أريدُ أن أخالفَكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ [هود: ٨٨]، أحَكَمْتَ هذه الآية؟ قال: لا. قال: فابدأ بنفسك."[٥]

---

(١) الاندلاق: خروج الشيء من مكانه. النهاية لابن الأثير (٢/ ١٣٠).

(٢) الأقتاب: الأمعاء. النهاية، لابن الأثير (٤/ ١١).

(٣) الرحا: التي يُطحن بها. النهاية، لابن الأثير (٢/ ٢١١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (١٢١/ ٤) برقم (٣٢٦٧).

(٥) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان (٧١٦٢)، وابن عساكر ٢٣/ ٧٣. وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه في الدر المنثور (١٥٨/ ١).

ومعلومٌ أنَّ "كلًا مِن الأمرِ بالمعروفِ وفعلهِ واجبٌ، لا يسقطُ أحدُهما بتركِ الآخرِ على أصحِّ قولي العلماءِ من السلفِ والخلفِ. وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ مرتكبَ المعاصي لا ينهى غيرَه عنها، وهذا ضعيفٌ، وأضعفُ منه تمسُّكهم بهذه الآيةِ؛ فإنه لا حجةَ لهم فيها. والصحيحُ أنَّ العالمَ يأمرُ بالمعروفِ، وإن لم يفعله، وينهى عن المنكرِ وإن ارتكبه، قال مالكٌ عن ربيعةَ: سمعتُ سعيدَ بنَ جبيرٍ يقولُ له: لو كانَ المرءُ لا يأمرُ بالمعروفِ ولا ينهى عن المنكرِ حتى لا يكون فيه شيءٌ، ما أمرَ أحدٌ بمعروفٍ ولا نهى عن منكرٍ. وقال مالكٌ: وصدق، من ذا الذي ليس فيه شيءٌ؟!

قلتُ ولكنه - والحالةُ هذه - مذمومٌ على تركِ الطاعةِ وفعلهِ المعصيةِ، لعلمه بها ومخالفته على بصيرةٍ، فإنه ليس مَن يعلمُ كمن لا يعلمُ"[1].

فتارك العمل مع العِلمِ به فعلُه كالجاهل " والآيةُ ناعيةٌ على من يعظُ غيره ولا يتعظُ بنفسه سوءَ صنيعهِ وخبثَ نفسهِ، وأنَّ فعلهُ فعلُ الجاهلِ بالشرعِ أو الأحمقِ الخالي عن العقلِ، فإنَّ الجامعَ بينهما تأبى عنه شكيمتهِ، والمرادُ بها حثُّ الواعظِ على تزكيةِ النفسِ والإقبالِ عليها بالتكميلِ لتقومَ فيقيمَ غيره، لا منعُ الفاسقِ عن الوعظِ، فإنَّ الإخلالَ بأحدِ الأمرين المأمورِ بهما لا يوجبُ الإخلالَ بالآخرِ."[2]

وهذا عامٌ في جميع الأمم "والخطابُ وإن كان لبني إسرائيل، غير أنَّ خطاباتِ القرآنِ وقصصه المتعلقةِ بالأممِ الأخرى إنما يُقصدُ منها الاعتبارُ والاتعاظُ. فنحن محذرون من مثلِ ما وقعوا فيه بطريقِ الأولى، لأننا أولى بالكمالاتِ النفسية. ... فعلماؤنا منهيون على أن يأتوا بما نُهِيَ عنه بنو إسرائيل من الصدَف عن الحقِّ لأعراضِ الدنيا، وكذلك كانت سيرةُ

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٧).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي (١/ ٧٧).

السلفِ رضي الله عنهم"[١].

ولله درُّ الإمام الشَّـاطبيِّ رحمه الله في قوله: " "مِنْ أنفعِ طُرُقِ العِلْمِ المُوَصِّـلةِ إلى غايَةِ التَّحقُّقِ به: أَخْذُهُ عَنْ أهلِهِ المُتحقِّقِين بهِ على الكمَالِ والتَّمَامِ"[٢] إلى أن وصـف رحمه الله علامات العالم المتحقّق به في قوله: " وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات...وَهِيَ ثَلَاثٌ:

إِحْدَاهَا: الْعَمَلُ بِمَا عَلِمَ؛ حَتَّى يَكُونَ قَوْلُهُ مُطَابِقًا لِفِعْلِهِ، فَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لَهُ؛ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ لِأَنْ يُؤْخَذَ عَنْهُ، وَلَا أَنْ يُقْتَدَى بِهِ فِي عِلْمٍ...

وَالثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ رَبَّاهُ الشُّيُوخُ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ؛ لِأَخْذِهِ عَنْهُمْ، وَمُلَازَمَتِهِ لَهُمْ؛ فَهُوَ الْجَدِيرُ بِأَنْ يَتَّصِفَ بِمَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ السَّلَفِ الصَّالِحِ. فَأَوَّلُ ذَلِكَ مُلَازَمَةُ الصَّحَابَةِ -رضي الله عنهم- لِرَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وَأَخْذُهُمْ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَاعْتِمَادُهُمْ عَلَى مَا يَرِدُ مِنْهُ، كَائِنًا مَا كَانَ، وَعَلَى أَيِّ وَجْهٍ صَدَرَ؛ فَهُمْ فَهِمُوا مَغْزَى مَا أَرَادَ بِهِ أَوَّلًا حَتَّى عَلِمُوا وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُعارض، وَالْحِكْمَةُ الَّتِي لَا يَنْكَسِرُ قَانُونُهَا، وَلَا يَحُومُ النَّقْصُ حَوْلَ حِمَى كَمَالِهَا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِكَثْرَةِ الْمُلَازَمَةِ، وَشِدَّةِ الْمُثَابَرَةِ

الثَّالِثَةُ: الِاقْتِدَاءُ بِمَنْ أَخَذَ عَنْهُ وَالتَّأَدُّبُ بِأَدَبِهِ، كَمَا عَلِمْتَ مِن اقْتِدَاءِ الصَّحَابَةِ بِالنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَاقْتِدَاءِ التَّابِعِينَ بِالصَّحَابَةِ رضي الله عنهم"[٣].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٤٦٦).

(٢) الموافقات، للشاطبي (١/ ١٣٩).

(٣) الموافقات، للشاطبي (١/ ١٤١).

وبهذا يُعْلَمُ أنَّ من صِـفاتِ من يُؤْخَذُ عنهم العلمُ والإيمانُ: العملُ بالعلمِ مع الحرصِ على بثِّه ونشرِه، يكونُ ذلكَ أدعى للاقتداءِ بهم. فالتأثُّرُ بالفعلِ أبلغُ من التأثُّرِ بالقولِ. وأما مَن يحثُّ الناسُ على تعظيمِ الدليلِ ولا يفعَلُهُ، والتجردِ للحقِّ ولا يتجردَ لهُ، وعدمِ معارضـةِ الوحيِ ثم يُعَارِضُهُ بعقله وهواه، فلا يكونُ ممن يؤخذُ عنهم العلمُ والإيمانُ.

وكذلك مَن جمعَ السـوءتين، فلا يأمرُ بتعظيمِ الشـرعِ ولا يُعظِّمهُ من بابِ أولى، بل يسعى في تشكيكِ الناسِ فيهِ بكلِّ سبيلٍ، متأثِّرًا بالأفكارِ الوافدةِ الهدَّامةِ التي يسعى في نشرها عدوه. وصدقَ اللهُ إذ يقولُ: {وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠]."

الخاتمـــة

وفي خِتامِ هذهِ الرِّحلةِ معَ بعضِ آياتِ كتابِ اللهِ العظيم، من خلالِ هذهِ المباحثِ التي طوِفَت بنا بينَ أرجاءِ هذهِ الوصـيَّةِ العظيمةِ لبني إسـرائيل، والتي تشـملُ بعمومِ لفظِها أهلَ الإسـلام، فيزيدُ نفعُها، ويطيبُ ثمرُها، فشـجرةُ القرآنِ أعلاها مُثمرٌ عظيمُ النفعِ، وأسـفلُها مُغدِقٌ لا ينضبُ معينُه.

ولله در أبي حيان إذ يبرز وجوها من إعجاز هذه الوصيّة لغويًّا ودعويًّا ووجدانيًّا ونفسيًّا فيقول عنها: "وفي هذه الجُمَلِ، وإن كانت معطوفاتٍ بالواوِ التي لا تقتضي في الوضعِ ترتيبًا، ترتيبٌ عجيبٌ، من حيثُ الفصاحةِ، وبناءُ الكلامِ بعضُهُ على بعضٍ؛ وذلك أنه تعالى أمرهم أولًا بذكرِ النعمةِ التي أنعمها عليهم، إذ في ذلك ما يدعو إلى محبةِ المنعمِ ووجوبِ إطاعتِهِ.

ثم أمرهم بإيفاءِ العهدِ الذي التزموه للمنعمِ، ثم رغبهم بترتيبِ إيفائِهِ هو تعالى بعهدِهم في الإيفاءِ بالعهدِ، ثم أمرهم بالخوفِ من نقماتِهِ إن لم يوفوا؛ فاكتنف الأمرُ بالإيفاءِ أمرٌ بذكرِ النعمةِ والإحسانِ، وأمرٌ بالخوفِ من العصيانِ.

ثم أعقب ذلك بالأمرِ بإيمانٍ خاصٍّ، وهو ما أُنزل من القرآنِ، ورغّب في ذلك بأنه مصـدقٌ لما معهم، فليس أمرًا مخالفًا لما في أيديهم، لأن الانتقالَ إلى الموافقِ أقربُ من الانتقالِ إلى المخالفِ.

ثم نهاهم عن اسـتبدالِ الخسـيسِ بالنفيسِ، ثم أمرهم تعالى باتقائِهِ، ثم أعقب ذلك بالنهي عن لبسِ الحقِّ بالباطلِ، وعن كتمانِ الحقِّ؛ فكان الأمرُ بالإيمانِ أمرًا بتركِ الضـلالِ، والنهيُ عن لبسِ الحقِّ بالباطلِ، وكتمانِ الحقِّ تركًا للإضلالِ.

ولما كان الضـلالُ ناشـئًا عن أمرينِ: إما تمويهِ الباطلِ حقًّا إن كانت الدلائلُ قد بلغت المستتبعَ، وإما عن كتمانِ الدلائلِ إن كانت لم تبلغه، أشار إلى الأمرينِ بـ"لا تلبسوا" و"تكتموا".

ثم قبح عليهم هذين الوصفينِ مع وجودِ العلمِ، ثم أمرهم بعد تحصيلِ الإيمانِ وإظهارِ الحقِّ بإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ؛ إذ الصلاةُ آكدُ العباداتِ البدنيةِ، والزكاةُ آكدُ العباداتِ الماليةِ.

ثم ختم ذلك بالأمرِ بالانقيادِ والخضوعِ له تعالى مع جملةِ الخاضعينَ الطائعينَ.

فكان افتتاحُ هذه الآياتِ بذكرِ النعمِ، واختتامُها بالانقيادِ للمنعمِ، وما بينهما تكاليفُ اعتقاديةٌ، وأفعالٌ بدنيةٌ وماليةٌ.

وبنحوِ ما تضمنته هذه الآياتُ من الافتتاحِ والإردافِ والاختتامِ، يظهر فضلُ كلامِ اللهِ على سائرِ الكلامِ. وهذه الأوامرُ والنواهي، وإن كانت خاصةً في الصورةِ ببني إسرائيلَ، فإنهم هم المخاطبون بها، هي عامةٌ في المعنى؛ فيجب على كلِّ مكلفٍ ذكرُ نعمةِ اللهِ، والإيفاءُ بالعهدِ، وسائرُ التكاليفِ المذكورةِ بعدُ هذا"[1].

ونصل في ختام هذه الرحلة إلى بيان أهم النتائج والتوصيات:

أما أهمُّ النتائج:

أولًا: أنَّ للقرآن أسلوبًا دعويًّا فريدًا، تجلَّت بعضُ ملامحه في هذه الآياتِ الكريمةِ من الترغيبِ والترهيبِ، ومخاطبةِ العقلِ والوجدانِ، على نحوٍ فريدٍ حكيمٍ، من ربٍّ عليمٍ عظيمٍ.

ثانيًا: أهميةُ الاستغناءِ بالقرآنِ الكريمِ في علاجِ جميعِ النوازلِ والمستجدّاتِ، فمن ابتغى الهُدى في غيره أضلَّه اللهُ، ولكنَّ الشأنَ في الإقبالُ عليه، وحُسنِ النَّزْعِ منه، والنَّهْلُ من معينِه الصافي، والاستزادةُ من خيرِه الضافي.

ثالثًا: بيان وجه من أوجه كون القرآن فُرقانًا حيث فرّق الله فيه بين أهل العلم القائمين بالحق فبيّن صفاتهم ليؤخذ عنهم، وبين علماء السوء من أهل الباطل من المنافقين

(١) البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٢٩٢).

والضالّين والمفسدين فبيّن حالهم ليُحذر منهم.

قال الله تعالى: {أَم نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص: ٢٨].

رابعًا: مِن تمام رحمة الله بعباده أن مايز في كتابه بين أهل العلم الراسخين فيه، وبين أدعياء العلم والمتشبهين بهم، بصفات فارقة واضحة، ليكون ذلك نافعًا لأهل الإيمان المتدبرين لكلام الله، المقبلين عليه، فيكون هذا التمييز سببًا عظيمًا في نجاتهم من الفتن، خاصة في زمن ظهور الرويبضة.

خامسًا: خطورة الكلام في دين الله بغير علم وأن العبث بالأديان أخطر وأعظم من العبث بالأبدان؛ وكما أنه يؤخذ على يد من يعبث بأبدان الناس وحياتهم فمن باب أولى الأخذ الشديد والردع الأكيد لمن يعبث بأديان الناس وعقولهم.

سادسًا: استغلال الغربِ لأذنابٍ كُثُرٍ، تعملُ على تشكيكِ المسلمينَ في دينِهم، بوسائلَ وأساليبَ شتّى، منها تلبيسُ الحقِّ بالباطلِ، وكِتمانُ الحقِّ، والحرصُ على بَثِّ شَوَاذِّ الأقوالِ والمسائل، والخروجُ عن جماعةِ المسلمينَ بفقهٍ سقيمٍ، وكان حُبُّ المالِ والجاهِ من أكبرِ الدوافعِ لذلك.

سابعًا: التنبيهُ على احترامِ التخصصِ الشرعي، وخطورة الأخذ عن غير المتخصصين.

ثامنًا: أهميةُ السعيِ البالغِ في نشر صفات أهل العلم الراسخين بين عموم المسلمين.؛ للحدِّ من خطورةِ التحريفِ والتأويلِ الفاسدِ للنصِّ الشرعيِّ الذي هو من أخطرِ آثارِ تغريبِ العلومِ الإسلاميةِ في العصرِ الحديثِ.

تاسعًا: مِن صفات مَن يؤخذ عنهم العلم والإيمان: شكر الله بالوفاء بعهده، خشية الله عزوجل، والقبول والتسليم بالوحي المعصوم، والزهد في الدنيا، وعدم لبس الحق بالباطل،

وبيان العلم وتعليمه ونشره، والعمل بالعلم، وأما من خالف هذه الصفات وعمل بضدها فليس بأهل لأن يؤخذ عنه العلم.

وأما أهم التوصيات:

أولًا: الحرصُ على نَقْد هذه المناهجِ التغريبيةِ الوافدةِ الهدّامةِ للطعن في التراثِ الإسلاميِّ، والتشكيكِ في أصولِه وثوابتهِ بكلِّ سبيلٍ: مقروءٍ، ومسموعٍ، ومرئيٍّ، من خلال نُخبةٍ من أهلِ العلمِ والتخصصِ.

ثانيًا: الحرصُ على الوقايةِ قبل العلاجِ، بتحديدِ وبيانِ وتمييزِ ونشرِ صفاتِ مَن يُؤخذُ عنهم العلمُ والإيمانُ، وتقريبِها لعوامِّ المسلمين، بكافَّة الوسائلِ المقروءةِ والمرئيةِ، مع ربطِ ذلك بالأدلَّةِ الشرعيةِ المحكمةِ من الوحي المعصوم.

ثالثًا: الحرصُ على ربطِ الناسِ بالعلماءِ الرَّاسخين، المشهودِ لهم بالعلمِ والعملِ، السائرينَ على نهجِ السلفِ الصالحِ من الصحابةِ الأطهارِ، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، بنشرِ علومِهم. وجهودِهم من تأليفٍ وتدريسٍ، سواءٌ كانوا أحياءً أم أمواتًا.

رابعا: قيامُ المحاضنِ الأصيلةِ في التوجيهِ بدورِها الفاعلِ كالأسرةِ والمدرسةِ والمسجد والجامعة؛ وذلك في مسارين: رئيسين: بناءٌ وهدم:

- بناءٌ لأسسِ تعظيمِ الوحيِ المعصومِ بفهمِ السلفِ، وعلى رأسهم صحابةُ محمدٍ الأطهار؛ لكون الوحي نزل بلغتهم، ولكونِ الله رضي عن قصودِهم وفعالِهم وأقوالِهم، ولمعايشتِهم لتنزيلِ الوحي، فكان القرآنُ يرجعُ بالتصويبِ إن وقع خطأٌ في فهمٍ، والرسولُ بالتصحيحِ إن وقع خللٌ في متابعةٍ.
- هدمٌ لأسسِ الباطلِ من التشكيك في السنةِ، والطعنِ في نَقَلَتِها ودواوينِها وشروحِها، وبيانُ أنَّ ذلك أولَ لَبنةٍ في هدمِ الدينِ كلِّه، وصدق الله إذ قال: (ولن ترضى عنك اليهود ولا

النصارى حتى تتبع ملتهم)!

خامسًا: قيامُ المؤسساتِ التعليميَّة الشرعيةِ كالأزهرِ الشَّريفِ ونحوه بدورِها الفاعلِ في مواجهةِ هذه الهجمةِ الشرسةِ لتغريبِ وتحريفِ العلومِ الإسلاميةِ، بالتأويلِ الفاسدِ للوحيِ المعصومِ من خلال المؤتمراتِ والندواتِ والمحاضراتِ والمناهجِ التي تصبُّ في هذا الجانب.

سادسًا: ولله درُّ الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ إذ يقول: "لا شيءَ أوجب على السلطانِ من مراعاةِ المتصدين للرئاسةِ بالعلمِ، فمن الإخلال بها ينتشرُ الشرُّ ويكثرُ الأشرارُ ويقع بين الناسِ التباغضُ والتنافرُ"(١).

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا

وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) الذريعة في مكارم الشريعة، للراغب (١٨٢).

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨.

٣- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠.

٤- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٥- تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

٦- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.

٧- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لعبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩.

٨- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ.

٩- تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠-تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١.

١١-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠.

١٢-جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠.

١٣-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢.

١٤-الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية.

١٥-الخلاصة من تفسير الطبري، عقيل بن سالم الشمري، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٤٢ الطبعة الأولى.

١٦- درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١.

١٧-الذريعة في مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨.

١٨-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥.

١٩-سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٢٠-سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢١-سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ.

٢٢-صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١.

٢٣-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧.

٢٤-فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩.

٢٥-فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القِنَّوجي، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، بَيروت،١٤١٢.

٢٦-فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم

الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤.

٢٧-لطائف الإشارات = تفسير القشيري، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة.

٢٨-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢.

٢٩-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠-مسند الإمام أحمد، لأحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦.

٣١-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠.

٣٢-معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩.

٣٣-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤-المفردات في غريب القرآن، للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢.

٣٥-الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق: لمشهور بن حسن آل سلمان،

دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ .

٣٦-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٧-النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ .

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص ٢٤٧

المقدمـــة ٢٤٩

المبحث الأول: شُكر النعمة والوفاء بعهد الله وخشيته. ٢٥٥

المبحث الثاني: القبول والتسليم والتعظيم للكتاب المُنزّل، والزهد في الدنيا. ٢٥٨

المبحث الثالث: التحذير مِن لَبس الحق بالباطل وكتمان الحقّ مع العلم به..... ٢٦١

المبحثُ الرابعُ: لُزومُ العبادةِ والجماعةِ. ٢٦٥

المبحث الخامس: العملُ بالعلم. ٢٦٨

الخاتمـــة ٢٧٣

فهرس موضوعات البحث..... ٢٨٣